# المبحث الثالث

## مفهوم السياق في الفكر الغربي والعربي

يطلق مصطلح السياق (Context) في الفكر الغربي على أجزاء القول أو النص أو القريبة من الوحدة اللغوية المراد تفسيرها[١].

وهو على نوعين[٢]:

**الأول**: ما يعني من نص يحيط بكلمة أو قطعة معينة يحدد معناها، وهو ما يعرف بالسياق اللغوي للنص، أو سياق النص.

**والثاني**: ما يعني الظروف المختلفة التي يقع فيها حدث معين وتحدد معناه سواء أكانت هذه الظروف مستقرة أم متغيرة، وهو ما يعرف بسياق الموقف، وسياق الثقافة.

فالسياق في الفكر الغربي وحده المسؤول عن إيجاد المعنى الدقيق لأي نصٍّ لا العلاقات العقلية بين الدال والمدلول[٣].

### ❑ مفهوم السياق في الفكر العربي[٤]:

إنّ مفهوم السياق في الفكر العربي هو مطلع النص السابق وآخر النص اللاحق، أي إنّ السياق هو علاقة المعنى بالمعنى السابق واللاحق أو هو تتابع

---

(١) السياق والمعنى: ١٢؛ دلالة السياق: ٥١.

(٢) ينظر: السياق والمعنى: ١١؛ ودلالة السياق: ٩٢.

(٣) ينظر: السياق والمعنى: ١١؛ جدلية السياق والدلالة في اللغة العربية للنص القرآني أنموذجاً: ٣٦.

(٤) ينظر: نظرية السياق القرآني: ١٥، ١٩.

المعاني في سلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال.

## المطلب الأول: أنواع السياق:

ينقسم السياق إلى أنواع عدة، باعتبارات مختلفة، هي:

**أولاً: باعتبار العموم والخصوص** وينقسم إلى:

١- السياق العام أو سياق السورة.

٢- السياق الخاص أو سياق المقطع.

**١- والسياق العام (سياق السورة):**

هو الذي يكون من بداية السورة حتى منتهاها، والذي يشكل وحدة عضوية متكاملة متتامة[١]، وهو يعني المعاني المنتظمة في السورة الواحدة في موضوع واحد أو موضوعات ربطت بينها مناسبة[٢] وهو نوعان[٣]:

أ . سياق ذو مقاطع متعددة.

ب. سياق غير متعدد المقاطع.

**النوع الأول:** هو ما يتناول عدة موضوعات تدور حول ركيزة أساسية في السورة، تتوجه الموضوعات والمعاني نحوها، ويختلف الناظرون أحياناً في توصيف وتحديد موضوع هذه الركيزة، ويتفقون أحياناً أخرى.

---

(١) ينظر: نظرية السياق القرآني: ٧٧.

(٢) ينظر: دلالة السياق القرآني: ١٨؛ ينظر: دلالة السياق وأثرها في التفسير: ١٠٤.

(٣) ينظر: نظرية السياق القرآني: ٧٧، ٧٨.

**والنوع الثاني**: فتوصيف وتحديد الموضوع فيه يكون أقرب إلى الموضوع في رؤية الباحثين.

ومثال السياق العام ما ذكره ابن جرير الطبري -رحمه الله- في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات: ١٥٨] وهل المعنى هنا حضور العذاب أو حضور الحساب؟

قال: «وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: إنّهم لمحضرون العذاب، لأنّ سائر الآيات التي ذكر فيها الإحضار في هذه السورة، إنّما عُني به الإحضار في العذاب، فكذلك في هذا الموضع»[(١)].

وترجيح الطبري رحمه الله لهذا المعنى كان بناءً على رؤيته لسياق السورة.

**٢- السياق الخاص (سياق المقطع)**:

وهو معرفة المعاني التي احتواها المقطع في السورة، وذلك لبيان الوجه الراجح من الوجوه المحتملة للألفاظ القرآنية أي: المعاني التي انتظمت في مجموعة من الآيات أو في الآية الواحدة إذا كانت طويلة[(٢)].

ومثال السياق الخاص ما ذكره الطبري رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤]، قال: إنّما هو في سياق الآيات التي فيها الأمر بالقتال والجهاد، والله جلَّ ثناؤه إنّما فرض القتال على المؤمنين بعد الهجرة؛ لأنّ قوله تعالى في هذه الآية مدني لا مكّي، إذ كان فرض قتال المشركين لم

---

(١) ينظر: جامع البيان: ١٢٢/٢١.

(٢) ينظر: نظرية السياق القرآني: ٩٠؛ دلالة السياق القرآني: ١٨.

يكن وجب على المؤمنين بمكّة[1].

## المطلب الثاني: ثانياً: باعتبار مفهومه المعنوي

ينقسم إلى[2]:

١- السياق الثقافي (الاجتماعي).

٢- السياق العاطفي (الانفعالي).

**والسياق الثقافي**: هو السياق الذي يكشف عن المعنى الاجتماعي أو الثقافي الذي توحي به الكلمة أو الجملة في إطار حضارة معينة أو مجتمع معين أو جماعة معينة، لذا فهو يحدد المحيط الثقافي والاجتماعي الذي نشأ فيه النص، فكلّ عصر له ثقافته -الاجتماعية والسياسية والدينية- التي تميزه عن غيره من العصور، واللغة بوصفها انعكاساً لهذه الثقافة أو تلك تحوي كلّ منها خصوصيتها، ذلك أنّ للكلمة ارتباطاً وثيقاً بالثقافة، فهي تحمل مدلولات تتغير من عصر لآخر، فالكلمة والجملة واللغة تأثرت بالمجتمع وأثرت فيه، فوجدت بينهما علاقة قوية لا يستطيع أي شخص أن ينكرها، فمن متطلبات الفهم الصحيح للنص يتطلب الإحاطة والإلمام بثقافة ذلك العصر. ومن أمثلة ذلك استخدام كلمة (عقيلة) للدلالة على الطبقة الاجتماعية المتميزة بالنسبة إلى كلمة (زوجة) في العربية المعاصرة، أو كلمة (كريمة) بالنسبة إلى كلمة (الابنة الكبرى).

أمّا **السياق العاطفي**: وهو الذي يحدد درجة الانفعال قوةً وضعفاً

---

(١) ينظر: جامع البيان: ٣/٥٨١.

(٢) ينظر: نظرية السياق: ٨٢، ٨٣، ٨٤؛ وينظر: السياق والمعنى: ٢٦، ٢٧.

وسكوناً، إذ يختار المتكلم الكلمات ذات الشحنة التعبيرية القويّة إذا تحدّث عن أمر فيه شدة انفعال، فهو يتولى الكشف عن المعنى الوجداني ويحدد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالاتها الموضوعية ودلالاتها العاطفية، بمعنى استعمال الكلمة في غير معناها الموضوعة هي له، لباعث عاطفي، كاستخدام لفظ (يودّ)، فهو غير لفظ (يُحب)، على الرغم من اشتراكهما في أصل المعنى، وهو الحب، فإنّ مضمونهما العاطفي متفاوت، ومثل (يكره) مع (يبغض). ويسمى المفهوم المعنوي بنوعيه السياق المقاصيدي[1].

فلا يمكن فهم اللغة وقوانين تطورها بمعزل عن حركة المجتمع الناطق بها في الزمان والمكان المعينين؛ لأنّ فيها من الإنسان فكرة، وطرائقه الذهنية، وفيها من العالم الخارجي تنوعه وألوانه، كما يصحب هذان القسمان أداء صوتي خاص يشحن المفردات بمعانٍ انفعالية، وقد تصاحب الكلام إشارات وإيماءات (تنبيهات) خاصةً ترمز إلى مثل هذه المقاصد. وهذا الاعتبار يقوم على أساس التشابك العلائقي القائم بين النص، والمتعرض دوماً للتغيير والتحوير في البنى المعجمية والتركيبية الخاصة به، ممّا أدى إلى تحديد دلالة الكلمة يحتاج إلى تحديد مجموعة السياقات الواردة فيها، فجعلها تتكئ على عدة مفاهيم أخرى، مثل (الوضع)، و(الاستعمال) و(المقام التواصلي)، ممّا يساعد على إنتاج تلك الدلالة[2].

**ثالثاً:** باعتبار النظم اللفظي للكلمة وموقعها والقرائن والأحوال:

---

(١) ينظر: مجلة الإحياء، العدد ٢٥، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م؛ أثر السياق في فهم النص القرآن، عبد الرحمن بودرع: ٧٥.

(٢) ينظر: أرشيف منتدى الفصيح* ٣: ٣٦٨٦٣.

ينقسم إلى:

١- السياق اللغوي (سياق النص).

٢- سياق الموقف (سياق المقام أو الحال).

**❑ والسياق اللغوي:**

هو النظم اللفظي للكلمة والبيئة اللغوية للنص من مفردات وجمل وخطاب، المحيطة بالعنصر اللغوي، مثل قوله تعالى: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾ [البقرة: ١٣٥]، حذف الفعل (نتبع) والذي يقدر فعلاً ناصباً لـ(مِلّةَ)، إذ يستعين بالسياق السابق للآية نفسها كأنّه قيل لهم: اتّبعوا، حين قيل لهم: ﴿كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾.

ويحلل السياق اللغوي على وفق مستويات لغوية مختلفة: كالمستوى الصوتي ويدخل فيه النبر، والتنغيم، والمستوى الصرفي والمعجمي، المستوى النّحوي (التركيبي)، المستوى الدلالي، وَهَذَا المستوى الأخير هُوَ الركن الرئيس فِي النظرية السِّياقية، وخاصةً فِي التفسير القرآني[١]، إذن فالسياق اللغوي هُوَ حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة[٢].

**❑ سياق الموقف:**

هُوَ القرائن والأحوال الخارجية التي تحيط بالكلام من ظروف وملابسات، والبيئة غير اللغوية التي تحيط بالخطاب وتبيّن معناه، وتشمل القرائن والأحوال أو

---

(١) ينظر: دلالة السياق: ٥٢، ٥٣؛ وينظر: السياق والمعنى: ١٣؛ ينظر: أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية: ١/٧.

(٢) ينظر: نظرية السياق: ٨٢.

البيئة زمن المحادثة ومكانها والعلاقة بين المتحادثين، والقيم المشتركة بينهما، والكلام السابق للمحادثة. وسياق الموقف يحدد العلاقة بين موضوع التركيب والأسلوب الذي جاء عليها[1]. ويقترب مفهومها من (دلالة الحال) عند النحاة[2].

وسياق الموقف نجده ممثلاً فِي علم المخاطب بغرض المتكلم وموضوع الكلام حيث يستعان بعناصره فِي فهم الكلام بعد إنتاجه، وَهَذا النوع من السياق متمثلاً فيما عُرف «بأسباب النزول»، لأنّ تحكمه قرائن الأحوال وإشارات وحركات، ومن أمثلة ذَلِكَ: إلقاء التحية بعبارة (السلام عليكم) أنّه قَدْ يريد بها التحية فقط، أو تمهّد لكلام بعده، قَدْ يكون عتب، أو تشجيع على أمر، أو ثناء[3].

وكما أفاد المفسرون من السياق فِي تفسير النصوص القرآنية، أفاد علماء علوم القرآن فِي معرفة أسباب النزول -كما تقدم- ومعرفة إعجاز القرآن فِي كُلّ جوانبه العلمية، والتربوية، والبلاغية، واللفظية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية. وعلماء النحو فِي معرفة الحال من سياق الموقف، والبلاغيين فِي معرفة حقيقة الطلب فِي الأمر والنهي، والمجاز، والمشترك اللفظي. فضلاً عمّا تقدم أفاد علماء الأصول من القرائن السياقية، وَهي القرائن اللفظية والقرائن المقامية، وفهموا الأثر الذي تقوم به هذه القرائن فِي تحديد دلالة النص، ومن

---

(١) ينظر: البينة الأسلوبية فِي التركيب النحوي: ١٧٦/٨؛ وينظر: السياق والمعنى: ٢٥؛ ينظر: نظرية السياق: ٨٢.

(٢) ينظر: أصول النظرية السياقية الحديثة: ١٦/١.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٤/١.

عناصر السياق اللغوي التي اعتمد عليها الأصوليون فِي رصد الدلالات المختلفة للأمر والنهي وما يسمى بالنبر والتنغيم فِي الدراسات اللغوية الحديثة، وكذلك البحث فِي الدليل وتحليله باعتباره لغة، ليتحقق فهم النصوص وتفسيرها من جهة الحقيقة والمجاز، والعموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، والمنطوق والمفهوم، والمظنون والغامض، أي: دلالة النص من حيث الوضوح والخفاء، وَهَذَا يعني أنّ بعض ألفاظ النص غير واضحة غامضة لا يعرف معناها عَلى تحديد الأمر الذي يجعل الفقيه يبحث عن القرائن اللفظية والمعنوية والحالية للكشف عن دلالته[1].

(١) ينظر: دلالة السياق: ١٣٣؛ ينظر: أصول النظرية السياقية الحديثة: ١٣/١؛ ينظر: أرشيف منتدى الفصيح: ٣: ٣٦٨٦٣؛ ينظر: أصول الفقه فِي نسيجه الجديد: ٥٥٦.